

جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
وحدة الدراسات الإسلامية والتحقيق والإفتاء

رسالة إلى القوارير

إعداد
د. محمد نبهان إبراهيم الهيتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد
الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
فقد ارتأت وحدة الدراسات الإسلامية والتحقيق والإفتاء في
كلية العلوم الإسلامية - الرمادي - أن تنشر - بين الحين

والآخر - كل ما من شأنه شحذ همم الشباب، وإيقاد جذوة الإيمان في صدورهم، وتنبئهم إلى ما يحاك ضد دينهم وعقيدتهم، وضد فطرة الله التي فطرهم عليها سبحانه وتعالى، ولكي يعوا ما يخطط أعداء الله لدين الإسلام من خلالهم، وذلك بإشاعة كثير من المغريات، وبث جملة من الأمور المشككة في قدرة هذا الدين العظيم لقيادة كل الأمم على اختلاف جنسياتهم وألوانهم، وعلى مر الأزمان والدهور.

لهذا وذاك فإننا سنقوم بعون الله عز وجل على نشر أو إعادة نشر بعض الكتيبات والملصقات والكراسات التي تهدف إلى ترسيخ أحكام هذا الدين العظيم .

وأول ما رأينا أن ننشره هو كراس يبين مدى الخطر الذي يداهم بناتنا لينتبهن إليه .

نسأل الله أن يعلمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع

مجيب ...

بسؤال عبر الهاتف.. عند ذلك م اوت كل أفكاري وتصوراتي عن الحرية والتقدم والعصرية.

لقد فهمت الآن أن الحرية ليست في التخلي عن القيم والتوصل للعادات والمبادئ الحميدة..

لقد فهمت الآن أن العصرية ليست في التنكر للدين والأخلاق والتشبث بأفكار وثقافات بعيدة كل البعد عن هويتنا وقيمنا.

لقد فهمت الآن أن الحرية في كبح جماح النفس وعدم الخضوع لرغباتها والاستسلام لنزواتها.

لقد فهمت الآن أن الحرية في الإحساس بالآخرين ومساعدتهم والتخفيف من معاناتهم والاهتمام بهم..

لقد فهمت الآن أن الإسلام قد كفل للمرأة حريتها وأعطاهها من الحقوق ما يكفل لها حياة كريمة في ظل تعاليمه الرشيدة..
قلت لها: أعتزرف الآن بالهزيمة..
وقد نويت من هذه اللحظة أن أغير حياتي وفق ما شرعه الله تعالى.. لأكون فتاة طيبة مثلك..
قالت وقد تهلل وجهها بابتسامة مشرقة: يا أختاه! ليس في علاقتنا غالب ومغلوب.. المهم أن نصل جميعا إلى بر الأمان.. والفوز الحقيقي.. والسعادة الدائمة..
قلت: نعم.. هذا هو المهم..

١٦

فنقول وبالله التوفيق :-

هذه الأسطر عبارة عن رسالة إلى كل فتاة تخاف على نفسها من رذيلات السوء أن يهوين فيها بمزلق الرذيلة والمهانة.

وهي رسالة عاشت وقائعها إحدى طالبات الجامعة من اللواتي غاب عن بالهن مكانة المرأة في دينها الإسلامي والدور الذي أُلقي على عاتقها من أجل تنشئة مجتمع فاضل يقوم على أساس من الفضيلة والأخلاق الرفيعة .

تقول هذه الفتاة :

كان حلما أن تطأ قدماي أعتاب الجامعة.. كنت أتمنى تلك اللحظة التي أصبح فيها فتاة جامعية.. لأتمتع بهذا القدر الكبير من الاحترام الذي تحظى به فتاة الجامعة..

كان تديني ناقصاً وتهاوني بالصلاة وغيرها من العبادات أمراً عادياً.. ومع ذلك فقد كنت راضيةً عن هذا القدر الضئيل من التدين..

كنت أنظر إلى المتدينين نظرةً دونيةً.. وأراهم أناساً رجعيين ومتأخرين.. ولذلك فإنهم يقفون موقفَ الرفض لكل ما هو جديد عصري..

النصيحة عند الكافيتريا.. وهـ، نفس الفتاة التي تدرس معي بنفس القسم.. وهي التي أذكرها بعجبها شديداً لجمالها وثقافتها ودقتها في اختيار ملابسها.. وشخصيتها القوية.. كدت لا أصدق أن هذه الفتاة العصرية تجلس أمامي وتلبس

هذه العبءة السائرة.. فقلت لها: أنتِ أنتِ؟ قالت: نعم.. لقد سألت زميلاتك عنك فأخبرنني عن مرضك.. فطلبت منهن اسم المستشفى ورقم الغرفة.. لأقوم بزيارتك.. فإن في زيارة المريض أجراً كبيراً..

قلت لها: في الحقيقة أنا لا أعرف كيف أشكرك على هذا الشعور النبيل.. وأريد أن أعتذر لك عن كل ما حصل مني.. قالت: لا عليك.. المهم أن تخرجي بالسلامة.. لأن الاختبارات على الأبواب.. ثم أخرجت من حقيبتها مجموعة من الأوراق وقالت لي.. هذه مجموعة المحاضرات التي فاتتك.. وسوف تجدين في نهاية كل محاضرة ملخصاً لها.. كما أنني سوف أقوم بزيارتك- إن شاء الله- بعد أسبوع لموافاتك بالمحاضرات الجديدة.

عند ذلك لم أتمالك نفسي من البكاء.. وتذكرت شدتي معها وصدي لها عند البوابة وعند الكافيتريا.. ومع ذلك فهي تعاملني بكل هذا الود والمحبة والشفقة.. وتذكرت كذلك زميلاتي اللاتي بخلن علي بزيارة أو حتى

كنت أتشبت بالأراء المتسار^{١٥} تي أسمعها عرضاً من شيوخ الفضائيات.. وأجعلها حجةً لي فيما أنا عليه من خطأ أو منكر..

لقد سئمتُ منظومةَ الأوامر والنواهي التي كانت تقيدُنَا في المدرسة.. كنت أطمع في المزيد من الحرية والانطلاق..

في الجامعة سوف ألبس ما أشاء.. وأفعل ما أشاء.. لقد ضقت ذرعا بنصائح المدرسات وتحكماتهن.. لا تضعي العباءة على كتفيك.. لا تلبسي هذا النوع من العباءات.. إياك ولبس القصير.. أزيلى هذا المكياج من وجهك..

على الإنسان أن يصبر حتى يصل إلى أهدافه.. نعم سأصبر.. كنت أذاكر كثيرا وأنتظر اليوم الذي أتخلص فيه من هذه القيود.. أريد أن أصبح فتاةً لها رأيها الخاص وتفكيرها الشخصي وإرادتها المستقلة..

نجحت في الثانوية.. وكانت درجاتي تؤهلني لدخول الجامعة..

أخيرا تحقق الحلم الذي تمنيته مرارا.. أخيرا سيكون لي رأيٌ ولن أعبأ بآراء الآخرين..

بنفسها.. وثقافتها العالية وال^{هـ}عة وعصريتها الواضحة.. كانت لا تزال ترد على خاطري بين فترة وأخرى..

وحانت ساعة الحقيقة.. فقد مرضت مرضا شديدا.. أدخلت على إثره المستشفى وبقيت بها فترة طويلة.. كنت قد اشتقت إلى رؤية زميلاتي.. لمعرفة آخر أخبار الكلية.. والدروس التي فاتتني..

وبعد أسبوع جاءني إحداهن.. وأخبرتني باعتذار الأخريات لعدم تمكنهن من الزيارة.. فطلبت منها تصوير المحاضرات التي فاتتني.. فوعدتني بذلك..

كنت أنتظر تلك المحاضرات بفارغ الصبر.. ولكن أحدا من زميلاتي لم يأت لزيارتي بعد هذا الطلب!! ما فائدة الصداقة إذا لم تكن لها ثمار وقت الأزمات والشدة؟.. أليس الصديق عند الضيق؟!..

وظللت أنتظر أسبوعا آخر ولكن دون جدوى.. وبعد يومين.. أخبرت أن هناك فتاة تريد زيارتي.. فحسبت أنها إحدى زميلاتي أتت بالمحاضرات كما طلبت.. فطلبت من الممرضات إدخالها.. فدخلت تلك الفتاة التي ناقشتني في مسألة الحجاب عند باب الجامعة.. فتعجبت من زيارتها.. وكيف عرفت أنني مريضة في المستشفى.. فلما خلعت نقابها وجلست بجوارى. عرفت أنها هي نفس الفتاة التي قدمت لنا

بدأ العام الدراسي فبدأت أبحث عن صديقات يبادلنني نفس الشعور، ويعشن نفس الهموم التي أعيشها.. صديقات يتسمن بالفتح والعصرية.. ويتطلعن إلى الحرية التي أتطلع إليها.

تعرفت على بعض الصديقات وأقمت معهن علاقة وطيدة.. كانت أحاديثنا تدور حول أمور تافهة تشير إلى تفاهتنا وسطحيتنا.. الموضة والأزياء.. أدوات التجميل.. القنوات الفضائية.. الأفلام.. المسلسلات.. آخر أغنيات الفيديو كليب.. الإشاعات.. الغيبة والنميمة.. السخرية والاستهزاء.. وأمور أخرى كثيرة من هذا النوع..

في البيت كان والدي مشغولاً بتجارته.. وإخواني كلٌّ في طريقه.. لم أسمع منهم أبداً كلمة نُصحٍ أو همسةً عتابٍ.. كنت أعيش في عالم آخر اصطنعتة لنفسى.. ولا أريد الفكاك منه.. فأنا لا أفعل شيئاً خطأ طالما أنه في محيط الصديقات أو الزميلات..

وذات يوم.. بينما كنت أنتظر السائق عند بوابة الجامعة.. أقبلت نحوي فتاة.. يبدو من شكلها أنها تنتمي إلى نفس الطراز الذي تنتمي إليه أمي وجدتي.. فلباسها ساتر جداً ولا يظهر منها شيء.. سلمت علي ومدت إلي يدها المغطاة بالقفاز.. فمددت لها يدي ثم سحبتها بسرعة.. قلت لها: كأنك تريدني شيئاً؟ قالت: في الحقيقة يا أختاه أن عباءتك لفتت

نجلس للضحك وسماع الغناء.. أهذه هي العصرية التي كنت أحلم بها؟!..

أحسست أن هذه الفتاة تهتم بي بشكل خاص.. وتريد إقامة علاقة صداقة معي.. ولكن كيف أقيم معها علاقة وهي تتكلم دائما عن الحلال والحرام، وهذا يشعرني بأني ما زلت طالبة المتوسط أو الثانوي.. دعك منها فإن هؤلاء متشددون ولا يعرفون أن الزمن قد تغير وأن الإنسان لا بد من أن يواكب عصره الذي يعيش فيه.. كفي عن ترديد هذه الاسطوانة المشروخة.. عصرية.. مدنية.. تقدم.. ورقي.. ما هي مظاهر العصرية التي نعيش فيها سوى بنطال لاصق.. وتنورة مفتوحة.. وحقاء رجالي.. ووجه يشبه وجوه البهلوانات.. أما هي فتدرس الإنجليزية وعلوم الحاسب الآلي.. إنها أكثر مني مَدَنِيَّة.. وكذلك فهي ملتزمة بتعاليم دينها.. فقد جمعت بين الحسنيين..

ما هذا الذي أقول؟! هل تأثرت بهذه الفتاة إلى هذه الدرجة؟ أين رأيي المستقل؟ وتفكيري الخاص.. وحرיתי التي كنت أبحث عنها دائما؟ لا لا.. لا بد أن أتخلص من هذه الفتاة حتى لا تعكر علي حياتي..

كنت أتعمد بعد ذلك ألا أراها ولا تراني.. وإذا رأيتها من بعيد.. سلكت طريقة آخر حتى لا تراني.. وظلت علاقتي كما هي بزميلاتي الأخريات.. غير أن صورة هذه الفتاة.. وثقتها

نظري.. فأحببت أن أسألك عن موديلها.. فانتفشت وقلت لها بثقة: فرنسي.. إنها أحدث شيء نزل في الأسواق حتى الآن..

قالت: وهل تظنين أن مصممي هذه العباءة من الفرنسيين وغيرهم يراعون الضوابط الشرعية لحجاب المرأة المسلمة؟

قلت لها: أية ضوابط تقصدين؟

قالت: ألا تعلمين أن للحجاب الشرعي شروطاً منها:

١ - استيعاب جميع البدن..

٢ - ألا يكون زينة في نفسه..

٣ - أن يكون صفيقا لا يشف..

٤ - أن يكون فضفاضا غير ضيق..

٥ - ألا يشبه ملابس الرجال..

٦ - ألا يشبه ملابس الكافرات..

٧- ألا يكون لباس شهرة..

وعباؤتك كما ترين تخالف معظم هذه الشروط الشرعية.. فهي مليئة بالزركشة والزينة.. وهي ضيقة.. وشفافة كذلك..

وهي تشبه ملابس الكافرات.. لأنها تظهر يديك وساعديك..

كنت أحب أن أظهر عليها في المناقشة.. وأثبت لها رأيي في عدم حرمة الغناء.. ولكن كيف ذلك وهي تستدل بآيات وأحاديث في تحريم الغناء؟! انصرفت الفتاة.. فانطلقت يد إحدى صاحباتي لترفع صوت الأغنية كما كان.. وتوالت الضحكات مرة أخرى..

وفي أحد الأيام قابلتني هذه الفتاة في الكلية.. فجاءت وسلمت علي.. وأرادت أن تعتذر.. فبادرتها أنا بالاعتذار عما حدث من زميلتي.. واتضح من خلال الحوار أنها تدرس في القسم الذي أدرس فيه.. فتعجبت من ذلك وقلت لها: لقد حسبتك تدرسين في إحدى الكليات الشرعية..

قالت: ولماذا؟

قلت: لأن ثقافتك الشرعية يبدو أنها عالية.. أفلا يؤثر ذلك على مستواك الدراسي؟!!

قالت: أبدأ فأنا أنظم وقتي.. وقد زادني التزامي بتنظيمها ومعرفة لقيمة الوقت وأهميته.. وبالمناسبة فأنا أجيد الإنجليزية وعلوم الحاسب الآلي، وهما من أهم الأمور في تخصصنا.. وأقوم بشرح بعض الدروس للطالبات فإذا احتجت شيئاً في ذلك فأنا على أتم الاستعداد.

عند ذلك نظرت إليها بإعجاب وإكبار.. واستصغرت نفسي.. إنها تعطي دروساً في الإنجليزية والحاسب الآلي.. ونحن

قلت: كفى كفى.. يكفي هذا.. أنتم دائماً تأخذون الآراء المتشددة.. وهناك من العلماء من رخص في لبس مثل هذه العباءة..

قالت: القضية يا أختاه ليست في قول فلان أو فلان فالحق لا يعرف بالرجال.. وكلُّ يؤخذُ منه ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((صنفان من أهل النار لم أرهما بعد.. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا^(١)))

وقد قال العلماء: إن التي تلبس مثل هذه العباءة التي تلبسها تعتبر من الصنف الثاني الذي ذُكرَ في هذا الحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل))^(٢)

وهذا عطر ك الجميل قد جذبني نحوك فكيف بالشباب والرجال؟..

١ الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : ٤ / ٢١٩١ - رقم الحديث (٢١٢٨) .

٢ الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه: ١٣٢٦/٢ - رقم الحديث (٤٠٠٢) .

قلت: لا لا.. هي لم تقصد ذلك.. وإنما تقصد أن الغناء ليس محرماً.. وليس هناك دليل على تحريمه.. قالت: بل هناك أدلة كثيرة.. منها قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} ^١

.. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لهو الحديث هو الغناء.. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون فيه الحرَّ والحريم والخمر والمعازف)) ^٢

والمعازف هي الموسيقى والغناء..

ولما رأين زميلاتي أننا لن نستطيع مجاراتها.. قالت إحداهن: اترك الحديث مع هؤلاء المترجمات. ثم توجهت إليها قائلة: لقد قطعت علينا حديثنا.. وأرى أن نصيحتك قد انتهت.. فدعينا الآن وانصرفي لشأنك..

فقلت: أسفة لقطع حديثكن.. ولكن لا تنسين كذلك أن هذا العمل مخالف لأنظمة الجامعة.. ثم استأذنت وانصرفت..

لم أكن أحب أن تواجه هذه الفتاة الجميلة المنظمة بمثل هذا الأسلوب الجاف الذي دل على ضعفنا أمام حججها القوية..

^١ سورة لقمان : آية / ٦ .

^٢ الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : ٥ / ٢١٣٢ - رقم الحديث (٥٢٦٨) .

إن الحجاب يا أختاه عفة وطهارة وصيانة للمرأة من أعين
لصوص الأعراض الطامعين فيما لا يحل لهم.. الحجاب يا
أختاه.. عند ذلك قاطعتها بشدة قائلة: مهلاً مهلاً.. انتهينا..
سأبحث هذه المسألة فيما بعد.. ثم ابتعدت عنها قليلاً.. لم أتأثر
كثيراً بهذا الموقف.. فقد عددته من جملة المواقف التي كنت
ألاقيها في مدرستي من المدرسات وبعض الطالبات أمثال
تلك الفتاة..

وفي إحدى جلساتي مع زميلاتي بجوار الكافيتريا.. كنا
نتجاذب أحاديثنا المعتادة.. وقد توالى ضحكاتنا عالية.. ومن
بالغ جرأتنا أننا وضعنا بجوارنا جهازاً صغيراً للتسجيل..
وأدرناه على أغنية صاخبة من أحب الأغنيات إلينا.. ويبدو
في هذه المرة أن صوت المسجل كان عالياً..

جاءت إلينا فتاة.. فألقت علينا السلام.. وطلبت منا تقصير
صوت المسجل حتى تستطيع الحديث معنا.. فقمنا بتقصير
الصوت..

كانت فتاةً جميلةً جداً.. ولباسها يشير إلى ذوق رفيع.. ومع
ذلك فليس فيه بهرجةٌ أو تبرجٌ.. ولكنه يمتاز بالدقة والجودة
والتناسق بين الألوان.. كنت أنتظر حديث تلك الفتاة التي
أعجبت بجمالها وملابسها جداً.. فبدأت.. هي الأخرى تلومنا
على سماع الأغاني.. وتنصحنا بسماع القرآن والأشرطة
المفيدة.

تعجبت أن تحدثنا هذه الفتاة الجميلة العصرية عن هذه الأمور.. ولكني آثرت هذه المرة أن أحتفظ بهدوئي وأبحث في معلوماتي الدينية القديمة.. فقلت لها: إننا نستمع إلى القرآن أحيانا.. ولكن هذا لا يمنع أن نُرَقِّه عن أنفسنا بسماع شيء من الموسيقى والغناء..

قالت: هناك موانع كثيرة.. فالقرآن والغناء لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد.. بل إذا تمكن أحدهما من القلب.. طرد الآخر على الفور..

قلت: هذا رأيك أنت.. ولا ينبغي أن تفرضي رأيك على الآخرين.. فنحن نحب القرآن ونحب الغناء أيضا..

قالت: لكي أثبت لكن صحة كلامي أريد أن تخبرني أي واحدة منكن: متى آخر مرة بَحَثْتِ عن إذاعة القرآن الكريم لتستمع إلى القرآن؟..

فسقط في أيدينا.. ولم تنطق إحدانا ببنت شفة.. ومع ذلك فقد كان صوت الكبر والغرور يتعالى داخلنا.. فقالت لها إحدانا: ليس لك أن تحاسبينا على ما نفعل.. ونحن لسنا في كلية شرعية حتى تأتينا بهذه النصائح..

قالت: وهل تعاليم الإسلام خاصة بمنسوبي الكليات الشرعية فقط.. والآخرون يفعلون ما يشاؤون؟